

إعادة تصنيف فنون علم البديع دراسة موازنة في محاولتين معاصرتين

Reclassification of the arts of Rhetoric Comparative Study in two Contemporary Attempts

المؤلف الأول* أ.د. عبدالله بن عبدالرحمن بانقيب

aabanqeeb@uqu.edu.sa جامعة أم القرى (الكلية الجامعية بالبنفسدة)، المملكة العربية السعودية

Article info معلومات المقال	Abstract ملخص
تاريخ الاستلام : 2021/08/20 . تاريخ القبول : 2021/09/26 .	كثرت الدعاوى التي دعت إلى إعادة النظر في تصنيف فنون البديع إلى محسنات معنوية، ومحسنات لفظية، ولكنها ظلت في معظمها دعاوى نظرية، وقالَ منها ما قدّم مقترحًا بديلاً. ومن المحاولات القليلة التي قدّمت مقترحًا بديلاً محاولة حامد الربيعي، ومحاولة الشحات أبو ستيت. اتّسمت المحاولة الأولى باكتمال الدائرة وعدم قبول إضافة جانبٍ جديد، واتّسمت المحاولة الأخرى بالانفتاح وأنها مقترحٌ قابلٌ للإضافة والزيادة.
الكلمات المفتاحية البديع – التصنيف – الموازنة – النص	
Key words rhetoric – classification – comparison – text	Abstract: <i>There were many demands that called for reconsidering the classification of rhetoric "albadee' science " arts into moral and verbal improvers, yet they remained mostly theoretical claims. Few of them presented an alternative proposal. Among the few attempts that presented an alternative proposal were Hamid Al-Rubaie's, and Al-Shahat Abu Steit. The first attempt was characterized by the completeness of the circle and the inadmissibility of adding a new aspect. While the second one was characterized as an open proposal that could be added and increased.</i>

مقدمة:

دعا عددٌ من الدارسين المعاصرين إلى إعادة النظر في تصنيف فنون البديع إلى محسنات معنوية، ومحسنات لفظية، وأن هذا التصنيف يحذف بقيمة الفنون البديعية، وقيم فصلاً متعسفاً بين اللفظ والمعنى.

وقليلٌ من هؤلاء الدارسين من قدّم تصنيفاً بديلاً، إذ اكتفى معظمهم بطلب إعادة النظر دون تقديم مقترحٍ بديل. ومن المحاولات القليلة التي قدّمت مقترحاً بديلاً محاولة حامد الربيعي في كتابه (مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء)، ومحاولة الشحات أبو ستيت في كتابه (دراسات منهجية في علم البديع).

ستقف هذه الورقة أما هاتين المحاولتين تعرضهما في المبحث الأول، وتوازن بينهما في المبحث الآخر، ثم تستخلص أهمّ النتائج في الخاتمة، وسيكون كل ذلك مسبوقةً بمدخلٍ يمهد للموضوع، ويفتح الطريق إليه. وانتهجت الورقة منهجاً موازناً يقف على أهمّ ما في المحاولتين، ويرصد ما بينهما من وجوه الاختلاف والاتفاق.

2. مدخل

من المعلوم أن السكاكي (ت626هـ) هو أول من حاول تقسيم البلاغة العربية إلى علومٍ حين جعل القسم الثالث من كتابه (مفتاح العلوم) خاصاً بعلمي المعاني والبيان، وألحق بهما المحسنات البديعية. فهو يقسم البلاغة إلى علمين - المعاني والبيان - ولا يجعل البديع علماً ثالثاً مستقلاً، بل ملحقةً بذلكما العلمين. ولم يستقلّ البديع علماً ثالثاً إلا في المحاولات التي تلت السكاكي عند ابن الناظم بدر الدين بن مالك (ت686هـ) في كتابه (المصباح)، والخطيب القزويني (ت739هـ) في (تلخيص المفتاح).

ومع ذلك فإنّ السكاكي هو أول من صنّف المحسنات البديعية إلى محسناتٍ معنوية، ومحسناتٍ لفظية. يقول السكاكي في مستهلّ حديثه عن البديع: "فها هنا وجوهٌ مخصوصةٌ كثيراً ما يُصار إليها لقصد تحسين الكلام فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها، وهي قسمان: قسمٌ يرجع إلى المعنى، وقسمٌ يرجع إلى اللفظ"⁽¹⁾. وتبعه في هذا التصنيف الخطيب القزويني الذي مدّه وتوسّع فيه. واقتفى شراح التلخيص أثر الخطيب، وأضحى هذا التصنيفُ التصنيفَ الغالب على كثيرٍ مما كتبت في البديع إلى يومنا هذا.

وقد كان هذا التقسيم محلّ نظرٍ عند عددٍ من الدارسين المعاصرين، وذلك بسبب ما آل إليه من نظرةٍ جعلت من فنون البديع مجرد محسّناتٍ عرضيّةٍ لا ذاتيّةٍ، فحسنها عرضي يكون بعد تمام المطابقة ووضوح الدلالة، وهذا ما نجده ماثلاً في تعريف الخطيب للبديع حين عرفه بقوله: "هو علمٌ يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة"⁽²⁾. ومع أنّ البديع استقل علمًا ثالثًا عند الخطيب القزويني، لكن النظرة إليه ظلّت على أنّه غير وثيق الصلة بما يقتضيه المقام، وما يستلزمه وضوح الدلالة، وأنّ دوره مقتصرٌ على مجرد التزيين والتحسين العرضي، وأنّه في الأهميّة دون علمي المعاني والبيان، إذ يضطلع الأوّل منهما بمهمة رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ويضطلع الآخر بمهمّة وضوح الدلالة. ومن هنا تعددت نداءات المعاصرين إلى إعادة النظر في هذا التصنيف للبديع وما جرّه إليه من نظرة جعلته في مرتبةٍ متأخرة عن قسيمه المعاني والبيان. فهذا أحمد موسى يقول: "غرضنا الذي نرمي إليه من وراء هذا البحث هو إنصاف البديع من جور المتأخرين، وإنقاذه من عسفهم، بوضعه في مكانه اللائق به من البلاغة، والاقتصاص له من هذا الحكم الجائر الذي حطّ من مكانته، وأضعف من قوّته، وقلّل من بهائه وروعته، وقضى عليه بأن يكون ذيلًا من ذيول البلاغة، وذنباً من أذناها، وعرضًا من أعراضها، لا يُقصد لذاته، ولا يُؤم لنفسه، ولا يعود على الأسلوب بالتحسين الذاتي، بل هو التابع الزنيم واللاحق الدليل الذي لا يلقى من الإكبار والإجلال ما يلقاه الذاتي الأصيل"⁽³⁾.

وهذا أحمد أحمد بدوي يقرّر قائلاً: "ينبغي أن يؤسّس البديع أولاً وقبل كلّ شيءٍ على الدراسة النفسيّة التي تهدي إلى بيان السرّ في تأثير لونٍ بديعيٍّ دون الدراسة الصوريّة، وتلمس الأقسام العقليّة التي لا تزيد ثروة الإحساس والشعور، وأنّ نؤمن بأنّ المعنى هو الذي يقود العبارة إلى صورتها، وأنّ كلّ محسّنٍ بديعيٍّ لا يكون له نصيبٌ من الجمال إلا إذا كان المعنى هو الذي يتطلّبه ويؤدّي إليه. أمّا التلاعب بالألفاظ، وبذل الجهد للإغراب في الصناعة فمما لا يسعى إليه أديبٌ فنان. ولهذا نضرب صفحًا عن كلّ مثالٍ صنع مجتلبًا ليصوّر لونًا من ألوان البديع دون أن ينبض بالحياة، ويزخر بالعطفة، ومن غير أن تكون هذه الصناعة قد جاءت؛ لأنّ المعنى وحده هو الذي تطلّبتها من ناحية أنّها تصوّر الإحساس النفسي"⁽⁴⁾.

وقريبٌ من ذلك ما دعا إليه أحمد مطلوب حين رأى "أنّ يعاد النظر في فنون البديع التي ذكرها القزويني وغيره من المتأخرين، فيؤخذ منها ما له قيمةٌ في التعبير، ويترك ما كان لعبًا بالألفاظ، أو تعميّةً وألغازًا"⁽⁵⁾.

وعلى الرغم من تعدّد هذه الدعوات فقلّ منها ما قدّم بديلاً، إذ اكتفى معظمها بالدعوة إلى إعادة النظر في هذا التصنيف للبديع دون أن يقترح تصنيفًا بديلاً.

ومن المحاولات القليلة التي حاولت أن تقترح تصنيفاً بديلاً لفنون البديع، محاولة حامد الربيعي في كتابه (مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء)، ومحاولة الشحات أبو ستيت في كتابه (دراسات منهجية في علم البديع). وسيكون موضوع مبحثي الدراسة دائراً حول هاتين المحاولتين، نقدّم في المبحث الأول عرضاً لهما، ونقدّم في المبحث الآخر موازنةً بينهما.

3. عرض المحاولتين

1.3 محاولة حامد الربيعي في كتابه (مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء)

ترتكز محاولة حامد الربيعي في إعادة تصنيف فنون علم البديع على إبقاء فكرة التحسين، وعدم التقليل من شأنها، فضلاً عن إلغائها. يقول في شأن ذلك: "وأحسب أنّ أحداً لن يستطيع إلغاء أو استبعاد الهدف البلاغي الذي جمعت هذه الفنون وأبرزت لخدمته، وهو التحسين، إذ لا يتنازع متنازعان في أنّها محسنات للأسلوب"⁽⁶⁾.

ويرد حامد الربيعي النظرة التي أضعفت فكرة التحسين إلى سببين: "أحدهما: ما يوهم به كلام البلغاء وطريقة معالجتهم لتلك الفنون من أنّها محسنات إضافية وزخرف وزينة يحلّى بها الكلام. والآخر: هو ذلك التقسيم الذي نهجه البلاغيون حين قسّموا المحسنات إلى معنوية ولفظية"⁽⁷⁾.

ويرى أنّ النظرة إلى فكرة التحسين يجب أن تنفذ إلى أنّ التحسين ليس أمراً عارضاً، وزينة خارجية، بل على أنّ التحسين أمرٌ جوهرية يمارس دوراً فنياً لا يمكن التغاضي عن قيمته البلاغية"⁽⁸⁾.

وبناء عليه يرى حامد الربيعي أنّ أي محاولة لإعادة تصنيف فنون البديع يجب أن تضع في حسابها أمرين: الأول: أن التحسين أمرٌ جوهرية لا إضافي. والآخر: تناسي تقسيم البلاغيين للمحسنات البديعية إلى معنوية، ولفظية. يقول حامد الربيعي: "ولكنّ بشيءٍ من التأمل يمكن أن تردّ فكرة التحسين إلى حقيقتها لتمارس دورها الفنيّ من خلال الظواهر البديعية، وهذا يقتضي أنّ ننسى أو نتناسى تقسيم البلاغيين، وأنّ نتعامل مع فنون البديع على أنّها وجوه تحسّين للأسلوب الأدبي"⁽⁹⁾.

وانطلاقاً من ذلك عمد حامد الربيعي إلى تقديم محاولته في إعادة تصنيف فنون البديع. وتمثّلت هذه المحاولة في توزيع فنون البديع على ثلاثة محاور رئيسية "تمثّل أبرز العناصر التي يتكوّن منها الأسلوب، وتحدّد بها سماته الجمالية، وهي: الصوت، والتركيب، والدلالة"⁽¹⁰⁾.

وأدرج حامد الربيعي تحت المحور الأول (الجانب الصوتي) الفنون الآتية⁽¹¹⁾:

1 – الجنس بأنواعه

2 – السجع بأنواعه

3 – الموازنة

4 – القلب

5 – التشريع

6 – لزوم ما لا يلزم

ووضع حامد الربيعي تحت المحور الثاني (الجانب التركيبي) الفنون الآتية⁽¹²⁾:

1 – المقابلة

2 – التفويف

3 – العكس

4 – اللف والنشر

5 – الجمع

6 – التفريق

7 – التقسيم

8 – الجمع مع التفريق

9 – الجمع مع التقسيم

10 – الجمع مع التفريق والتقسيم

وضمن حامد الربيعي تحت المحور الثالث (الجانب الدلالي) الفنون الآتية⁽¹³⁾:

1 – الطباق

2 – التدييج

3 – مراعاة النظر

4 – تشابه الأطراف

5 – إيهام التناسب

6 – الإرصاء

7 – المشاكلة

8 – الاستطراد

9 – المزوجة

10 – الرجوع

11 – التورية

12 – الاستخدام

13 – التجريد

14 – المبالغة

15 – المذهب الكلامي

16 – حسن التعليل

17 – التفريع

18 – تأكيد المدح بما يشبه الذمّ

19 – تأكيد الذمّ بما يشبه المدح

20 – الاستتباع

21 – الإدماج

22 – التوجيه

23 – الهزل الذي يراد به الجد

24 – تجاهل العارف

25 – القول بالموجب

ويعقّب حامد الربيعي بعد هذه المحاولة في إعادة تصنيف البديع بقوله: "إنّ تصنيف الفنون البديعية على النحو الذي تقدّم من شأنه أن يقضي على تلك القسمة التي تتخذ من المعنى واللفظ أساساً لها، ويعيد للبديع حيويته، ويدخله في صلب النظرية البلاغية، انطلاقاً من أنّ البلاغة على مختلف مباحثها تعمل على ضبط جهات الحسن في الأسلوب"⁽¹⁴⁾.

2.3 محاولة الشحات أبو ستيت في كتابه (دراسات منهجية في علم البديع)

تنطلق نظرة الشحات أبو ستيت من مراجعة لتعريف البديع عند الخطيب القزويني - الذي عرضنا له سابقاً - ومَن تبعه فيه من شراح التلخيص. فهو لا يوافق على هذا التعريف؛ لأنّه "يجعل وظيفة فنون البديع في الأسلوب مقصورةً على مجرد تحسينه وتنميته، دون أن تكون من عوامل بلاغته. كما أنّه يضع علم البديع في مرتبة دائية، ومرحلة متأخرة بعد علمي المعاني والبيان، فعلم المعاني مختصّ باعتبارات مطابقة الكلام لمقتضى الحال. وعلم البيان مختصّ باعتبارات وضوح الدلالة، وبمراعاة الاعتبارات المقررة في العلمين تتحقّق بلاغة الكلام، ثم تأتي

فنون البديع بعد ذلك على الكلام البليغ لتكسوه رداء الحسن، وتلبسه قلائد الزينة، دون أن تكون أساساً في بلاغته. وهذه نظرة مجحفة يعلم كان البحث فيه الخطوة الأولى⁽¹⁵⁾ في مسيرة البلاغة، وكثيراً ما أطلق عليها، وضّم تحت رايته - لفترات طويلة - معظم فنون البلاغة، منها ما هو من علم المعاني، وما هو من علم البيان حسب مصطلحات المتأخرين⁽¹⁶⁾.

ولهذا يعيد الشّحات أبو ستيت النظر في تقسيم المحسنات إلى معنوية ولفظية، ويرى أنه "تقسيمٌ صوري لا تتعدى فائدته ضبط الألوان وتقنينها، وينبغي ألا يفهم على أنه فصلٌ بين المعاني والألفاظ في العمل الأدبي، فهذا الفصل فيه إضعافٌ لناحية من النواحي التي يقوم عليها الأسلوب البليغ، إذ يتكامل لفظه ومعناه لأداء الغرض المقصود، ولا يصح أن يفصل بين اللفظ والمعنى في إحداث الجمال والحسن للأساليب، فكلٌّ منهما لا يوجد دون الآخر، ولا تتم بلاغة الأسلوب إلا بهما معاً. والمحسنات اللفظية لا تحسن إلا بموقع معناها في العقل، والمحسنات المعنوية لا تحسن إلا بمراعاة الألفاظ الحاملة للمعنى، وقد نبّه البلاغيون على ذلك"⁽¹⁷⁾.

ومّا دعاه أيضاً إلى إعادة تصنيف فنون البديع كثرة هذه الفنون، وتشعبها، وتعدّد أسماؤها، وتداخلها، واختلاط بعضها ببعض. يقول الشّحات أبو ستيت: "ومن تتبّعي لفنون البديع في مصادرها المختلفة رأيت أنّ هذه الفنون قد كثرت وتشعبت وتعدّدت أسماؤها وتداخلت صورها واختلط بعضها ببعض حتّى غدا حصرها واستيعابها أمراً صعباً يحتاج إلى جهدٍ شاقّ؛ لذا ينبغي أن تضمّ في أبواب أو فصول، وتضمّن كل واحدٍ منها مجموعة من الفنون البديعية التي تشترك في غرضٍ عامٍ ترمي إليه، فيتمّ من خلال ذلك حصر فنون البديع في نطاقٍ محدّدٍ ييسر درسها، ويعين على نقدها وتقييمها"⁽¹⁸⁾.

ومن هنا راح الشّحات أبو ستيت يعيد تصنيف فنون البديع في ثلاث مجموعات:

- **مجموعة (فنون التناسب):** وهي مجموعة من الفنون البديعية: تحقّق التناسب بين عناصر الكلام، وتعمل على تلاحم أجزائه، وتماسك عناصره، ويبدو كالسبيكة التي أفرغت إ فراغاً واحداً، لا خلل فيها ولا تباين⁽¹⁹⁾.

وتأتي هذه الفنون في وصل الكلام، وربط أجزائه وإيجاد علاقاتٍ بينها "عن طريق التضاد، أو التناسب، أو تعلق أوله بآخره، أو التناسق الصوتي، إلى جانب جعل العمل الأدبي وحدة متكاملة الأجزاء متناسقة الوضع"⁽²⁰⁾.

وأدرج الشّحات أبو ستيت ضمن هذه المجموعة الفنون الآتية⁽²¹⁾:

1 - الطباق

2 - المقابلة

3 - مراعاة النظر

4 - الإرصاء

5 - المزوجة

6 - السجع

7 - مواضع التألق: حسن الابتداء، فواتح السور، حسن التخلّص، حسن الانتهاء، خواتم السور.

- مجموعة (فنون التخييل والإيهام): وهي مجموعة الفنون البديعية التي يبرز فيها التخييل والإيهام. وجعل الشحّات أبو ستيت ضمن هذه المجموعة الفنون الآتية(22):

1 - التورية

2 - المشاكلة

3 - حسن التعليق

4 - التجريد

5 - تأكيد المدح بما يشبه الذمّ

6 - تأكيد الذمّ بما يشبه المدح

7 - التوجيه

8 - تجاهل العارف

ويعتَّب الشَّحَات أبو ستيت على فنون هذه المجموعة بقوله: "وظهور عنصر الإيهام في هذه الفنون لا يعني أنَّها موقوفةٌ عليه، فكثيرٌ منها يلعب دورًا له شأنه في ربط الأسلوب وتحقيق التناسب بين أجزائه وعناصره"⁽²³⁾. وهذا يعني أنَّ عنصر الإيهام في هذه الفنون عنصرٌ غالبٌ لكنَّه لا يحجز هذه الفنون عن تأدية أدوارٍ أخرى كتحقيق التناسب. فالتصنيف هنا يجري بما غلب دون إغفالٍ لأدوار أو وظائف أخرى يمكن أن تؤدِّيها هذه الفنون.

مجموعة (فنون الإجمال والتفصيل): وهي مجموعة الفنون البديعية التي تقوم على الإجمال والتفصيل، والإيهام والإيضاح، والجمع والتفريق، وما أشبه ذلك"⁽²⁴⁾.

ويُعرض المعنى في هذه الفنون "في صورتين مختلفتين، جملة ومفصلة، أو مجموعة ومفرقة، مما يفحِّم المعنى ويؤكدُه، ويشير الانتباه نحوه ويشوِّق إليه"⁽²⁵⁾.

وضمَّن الشَّحَات أبو ستيت هذه المجموعة الفنون الآتية⁽²⁶⁾:

1 – اللف والنشر

2 – الجمع

3 – التفريق

4 – التقسيم

5 – الجمع مع التفريق

6 – الجمع مع التقسيم

7 – الجمع مع التفريق والتقسيم

Comparative Study in two Contemporary Attempts Reclassification of the arts of Rhetoric

ولا يدعي الشحات أبو ستيت الحصر وأنّ هذا التصنيف نهائي لا يقبل التعديل والإضافة، واستحداث مجموعاتٍ أخرى، وضمّ فنون بديعيةٍ أخرى لها، بل هو تصنيفٌ قابلٌ للتطوير، وبمثابة تمهيدٍ للطريق. يقول الشحات أبو ستيت: "واقصرنا على هذه الفصول وما درسناه فيها من فنون لا يعني حصر فصول البديع أو فنون كلِّ فصل، إنّما ذلك بمثابة إشارةٍ على الطريق بقدر ما هيأت الظروف ومن الميسور تسمية فصولٍ أخرى وضمّ ألوانٍ فيها، أو إضافة ألوانٍ أخرى إلى الفصول التي سَمَّيناها"⁽²⁷⁾.

4. موازنة بين المحاولتين

سنحاول في هذا المبحث أن نوازن بين المحاولتين عبر إبراز أوجه الاختلاف، والاتفاق بينهما.

1.4 أوجه الاختلاف بين المحاولتين

1 - يغلب على محاولة حامد الربيعي الارتكاز على جانب بنائي يحاول أن يصنّف الفنون البديعية عبر مكونات نصية تشمل معظم مستويات النصّ المتعارف عليها في إطار الدرس البنيوي. فالجوانب التي صنّف فيها حامد الربيعي الفنون البديعية - الصوتي، التركيبي، الدلالي - هي مستويات درس النص في أعراف الدراسة البنيوية. وأما محاولة الشحات أبو ستيت فيغلب عليها الارتكاز على جانبين، جانب تركيبى يبحث عن أواصر ربط عناصر الكلام، وجانب دلاليّ يبحث عن الدلالة الغالبة على الفن البديعي، ولا تسيطر فكرة المستويات النصية والرصد البنائي على محاولة الشحات أبو ستيت بدليل أنّنا نجد فنين صوتيين في مجموعتين مختلفتين، فنجد السجع في المجموعة الأولى: (فنون التناسب)، ونجد الجناس في المجموعة الثانية: (فنون التخيل والإيهام) في حين نجد كلا الفنين عند حامد الربيعي في الجانب: (الصوتي) لغلبة الرصد البنائي على محاولته.

2 - تسيطر فكرة تماسك أجزاء الكلام وتلاحمه على تصنيف الشحات أبو ستيت، فهي فكرة أساسية في المجموعة الأولى: (فنون التناسب)، وغير مغفل عنها في المجموعة الثانية: (فنون التخيل والإيهام)، وملاحظة في المجموعة الثالثة: (فنون الإجمال والتفصيل)؛ لأنّ التفصيل الذي يعقب الإجمال هو ردّ لآخر الكلام إلى أوله. وأما في محاولة حامد الربيعي فلا تبرز فكرة تلاحم عناصر الكلام إلا في الجانب الثاني: (التركيبى).

3 - يمكن القول بأن تصنيف حامد الربيعي تصنيف حدّي - إن صحّ التعبير - يحاول أن يضع كل فنّ في دائرة محدّدة لا تسمح بالتداخل. وأما تصنيف الشحات أبو ستيت فهو تصنيفٌ تغليبيّ يصنّف الفن بما يغلب عليه، ويسمح بالتداخل والتناوب والفصل المؤقت الذي يصنّف ولا يحدّ الفنّ بحدّ صارم لا يبرحه.

4 – ويتبع ذلك القول: بأنّ تصنيف حامد الربيعي تصنيفٌ نهائيّ، فهو إن كان يقبل إضافة فنون بديعيةً أخرى إلى أحد الجوانب الثلاثة فإنه لا يقبل زيادة جانبٍ جديد؛ إذ هو حصّر لفنون البديع وفقاً لمستويات نصّية لا تقبل الزيادة، وهي مستويات تغطّي كلّ النصّ، وتحصره فيها. وأمّا تصنيف الشّحات أبو ستيت فيظلّ مقترحاً مفتوحاً، يقبل الزيادة والتعديل، سواء عبر إضافة فنون بديعيةً أخرى لإحدى المجموعات الثلاث التي ذكرها، أو عبر إضافة مجموعات جديدة تضمّ فنوناً بديعيةً أخرى.

5 – أدّى اكتمال دائرة التصنيف عند حامد الربيعي إلى إدراج عددٍ أكبر من الفنون البديعية، فهو تصنيفٌ غير قابل لزيادة جانبٍ جديد، فلا مناص من الحصر بأكبر قدرٍ ممكن، ولهذا نجد في الجانب الثاني: (الدلاليّ) خمساً وعشرين فناً. وأمّا الشّحات أبو ستيت فلاّن تصنيفه يظلّ تصنيفاً في دائرة المقترح القابل للتعديل والإضافة فلا نجد لديه الحرص على إدراج عددٍ كبيرٍ من فنون البديع.

2.4 أوجه الاتفاق بين المحاولتين

1 – انطلقت كلتا المحاولتين من فكرة أن التحسين البديعيّ جوهريّ وليس تحسيناً عرضياً يتوقف دوره على مجرد الزخرف والزينة، بل هو جزء أصيلٌ في بلاغة الكلام. ولهذا وجدنا في كلتا المحاولتين دعوة إلى إعادة النظر فيما ذهب إليه الخطيب القزويني ومن سايره من شرّاح التلخيص من أنّ التحسين الناجم عن البديع تحسينٌ عرضيّ لا ذاتيّ.

2 – تتفق المحاولتان في النظر إلى بعض فنون البديع على أنّها وسائل لتماسك عناصر الكلام، وهو ما يتضح في الجانب الثاني: (التركيبية) عند حامد الربيعي، وفي المجموعة الأولى: (فنون التناسب) عند الشّحات أبو ستيت وإن لم تغب عنده فكرة التماسك عن المجموعتين الأخريين.

3 – تشترك المحاولتان في النظر إلى أن تصنيف المحسنات البديعية إلى محسناتٍ معنوية، ومحسناتٍ لفظية تصنيفٌ يجني على إدراك القيمة الحقيقية لفنون البديع، ويوهم بإمكان الفصل بين اللفظ والمعنى، ويوقع في الظنّ أنّ حسن الكلام ناتج عن أحدهما دون الآخر، لا على أنّه نتيجة لتلاحم الاثنين معاً.

5. خاتمة:

ويمكن أن نوجز أبرز نتائج الدراسة في الآتي:

- 1 - تتفق المحاولتان على أنّ التحسين البديعي جوهريّ ذاتيّ لا عرضيّ. وكان هذا من أهمّ دوافع التي دفعت كل محاولة إلى إعادة النظر في تصنيف فنون البديع، ومراجعة قسمتها إلى محسّناتٍ معنوية، ومحسّناتٍ لفظية.
- 2 - يغلب على تصنيف حامد الربيعي البعد البنائي، ويغلب على تصنيف الشحات أبو ستيت البعد التركيبي الدلالي.
- 3 - يتّسم تصنيف حامد الربيعيّ بأنه تصنيفٌ حديّ اكتملت دائرته، فإن كان يقبل إضافة فنون بديعيّة أخرى إلى أحد الجوانب الثلاثة فإنه لا يقبل زيادة جانبٍ جديد. وأما تصنيف الشحات أبو ستيت فيظلّ مقترحًا مفتوحًا قابلاً للتعديل والزيادة وإضافة سواءً عبر إضافة فنون بديعيّة أخرى لإحدى المجموعات الثلاث التي ذكرها، أو عبر إضافة مجموعات جديدة تضمّ فنوناً بديعيّة أخرى.

الهوامش:

- (1) السكّاكيّ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمّد: مفتاح العلوم، تحقيق: حمدي محمّدي قايل، قدّم له وراجعته: مجدي فتحي السيد، القاهرة: المكتبة التوفيقيّة، ص365.
- (2) الخطيب القزويني، الإيضاح "ضمن البغية لعبدالمعال الصعيدي"، القاهرة: مكتبة الآداب، 1417هـ/1997م، 3/4.
- (3) موسى، أحمد إبراهيم، الصبغ البديعي في اللغة العربيّة، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، 1388هـ/1969م، ص470.
- (4) في تقديمه لكتاب:
شرف، حفني محمد، ابن أبي الإصبع المصري بين علماء البلاغة، القاهرة، ط1، 1962م، ص: ز.
- (5) مطلوب، د. أحمد، القزويني وشروح التلخيص، بغداد، مكتبة النهضة، ط1، 1387هـ/1967م، ص643.
- (6) الربيعي، حامد صالح خلف، مقاييس البلاغة بين العلماء والأدباء، مكّة المكرمة، معهد البحوث العلميّة وإحياء التراث الإسلاميّ بجامعة أمّ القرى، 1416هـ/1996م، ص693.
- (7) المصدر نفسه، ص693.

(8) ينظر: المصدر نفسه، ص 694.

(9) المصدر نفسه، ص 694.

(10) المصدر نفسه، ص 694.

(11) المصدر نفسه، ص 694، 695.

(12) المصدر نفسه، ص 696، 697.

(13) المصدر نفسه، ص 697 - 699.

(14) المصدر نفسه، ص 700.

(15) إشارة إلى أول كتاب أفرد تأليفه للبلاغة واستقلّ بها بعد أن كانت تأتي في ثنايا مؤلفات العلوم الأخرى، وهو كتاب البديع لابن المعتزّ (ت 296هـ).

(16) أبو ستيت، الشحات، دراسات منهجية في علم البديع، ط 1، 1414هـ/1994م، ص 27.

(17) المصدر نفسه، ص 29.

(18) المصدر نفسه، ص 4.

(19) المصدر نفسه، ص 31.

(20) المصدر نفسه، ص 31.

(21) المصدر نفسه، ص 31.

(22) المصدر نفسه، ص 127.

(23) المصدر نفسه، ص 127.

(24) المصدر نفسه، ص 221.

(25) المصدر نفسه، ص 221.

(26) المصدر نفسه، ص 221.

(27) المصدر نفسه، ص5.

المصادر والمراجع:

- الخطيب القزويني، الإيضاح "ضمن البغية لعبدالمتعال الصعيدي"، القاهرة: مكتبة الآداب، 1417هـ/1997م.
- الربيعي، حامد صالح خلف، مقاييس البلاغة بين العلماء والأدباء، مكة المكرمة، معهد البحوث العلميّة وإحياء التراث الإسلاميّ بجامعة أمّ القرى، 1416هـ/1996م.
- أبو ستيت، الشحات، دراسات منهجية في علم البديع، ط1، 1414هـ/1994م.
- السكاكيني، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمّد: مفتاح العلوم، تحقيق: حمدي محمّدي قايل، قدّم له وراجعته: مجدي فتحي السيد، القاهرة: المكتبة التوفيقيّة.
- شرف، حفني محمد، ابن أبي الإصبع المصري بين علماء البلاغة، القاهرة، ط1، 1962م.
- مطلوب، د. أحمد، القزويني وشروح التلخيص، بغداد، مكتبة النهضة، ط1، 1387هـ/1967م.
- موسى، أحمد إبراهيم، الصبغ البديعي في اللغة العربيّة، القاهرة، دار الكاتب العربيّ للطباعة والنشر، 1388هـ/1969م.